حسين علي محفوظ.. رحيل ذاكرة تاريخية

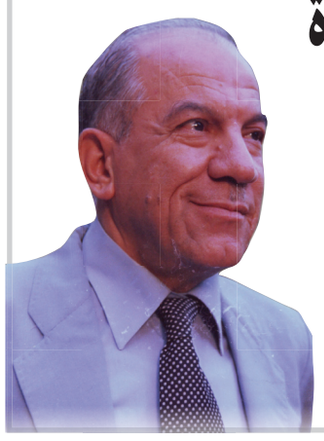

مؤرخ، جغرافي، لغوي، فقيه، شاعر، وكتب في الاختصاصات كافة، حتى قدم لنا (٤٠٠) اثر بين كتاب ودراسة ومقالة وتحليل وجداول في إحصاء العلوم والاداب فهي خلاصة اجتهاده القائم على علم المقارنة، وخلاصة تتبعاته الاستقرائية القائمة على حس فطري بالأشياء..!يكتب الباحث والمؤرخ حميد المطبعي تاريخا لحسين علي محفوظ فيقول : هو حسين بن الشيخ علي (١٩٢٦) بن الشيخ محمد الجواد (١٣٥٨هـ) بن الشيخ موسى (١٣٢٠هـ) بن الشيخ حسين (١٢٦٢هـ) بن الشيخ علي (١٢٢٢هـ) بن الشيخ محمد أل محفوظ، الوشامي الاسدي، من بني أسد بن خزيمة، من مضر، ويظهر من تكرار كلمة (الشيخ) في سلسلة عموده النسبي انه ينتمي إلي أسرة علمية متجذرة تاريخيا.. فآل محفوظ بيت علمي كما تشرح عنهم وثائقهم، بيت عربي عراقي قديم، ينتهي نسبهم إلى شمس الدين محفوظ بن وشاح بن محمد- المتوفى سنة ٦٩٠هـ، من بيت أبي العز الاسدي الحلي، وكان جده محفوظ من أعيان العلماء وإعلام الشريعة في العراق في عصره، وأم الدكتور حسين من السادة (آل الورد) البغاددة وهم من بني عمر العلويين من ذرية عمر بن يحيى (٢٠٧هـ) بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد أشار ابن حزم الأندلسي إلي رئاسة العمريين هؤلاء ومنزلتهم في الكوفة وبغداد ونوه باسمهم في كتاب جمهرة الأنساب، وذكر الثعالبي في تتمة اليتيمة انهم كانوا مضرب الأمثال في الشرف والجاه في بغداد. ولد الدكتور حسين محفوظ في شارع قريش بالكاظمية، وتعلم فيها وتخرج في دار المعلمين العالية (ليانس آداب ١٩٤٨) بدرجة الأولية ونال دكتوراه الدولة في الاداب الشرقية (الأدب المقارن) ١٩٥٢، وبعد جمع الدراستين القديمة والجديدة، واطلع علي أصول التاريخ والأداب والثقافة في بيته وتتلمذ على أفاضل أسرته، وقرأ مقدمات المنطق والأصول على العلماء من اهله، وروي الحديث (إجازة) وتدريجا وسماعا وقراءة عن جماعة من مشاريع المحدثين انافت عدتهم السبعين في المشرق والمغرب، وروى قراءة عاصم عن مشيخة القراءة والإجازة ولا سيما شيخ القراء في الموصل.. قال الشعر، وكانت أول قصيدة في وصف الربيع نظمها في عام ١٩٣٩، ونظم الشعر التعليمي في عام ١٩٤١، وشعره مجموع في عدة دواوين، ولم يتكلف نظمه، بل لحاجة في نفسه..! وتعود بدايات اشتغاله بالتأليف إلى مطلع عام ١٩٤١، وكانت رسائله الأربع القصار في (الرضي) و (المعري)و (المتنبي)و (ابن زيدون) أوائل أعماله الأدبية سنة ١٩٤٢. عين مدرسا في دار المعلمين العالية ببغداد ١٩٥٦ ومفتشاً اختصاصياً للغة العربية في وزارة المعارف حتى سنة ١٩٥٩ ثم انتقل إلى كلية الأداب وأسس فيها قسم الدراسات الشرقية ١٩٦٩ ورأسه، ودرس العربية وادابها في الكلية الشرقية بجامعة (لينين غراد) منذ سنة ١٩٦١- ١٩٦٣ وجلس علي كرسي الشيخ محمد عياد الطنطاوي، ولقب هناك (أستاذ المستشرقين) ومنح (منشور التقدير) الذي وقعه الأساتذة بقسم اللغة العربية... له في خدمة التراث العربي والإسلامي بتحقيقه والتعريف به واحيائه ما ينيف على (٢٠٠) اثر، وقد أنجز العديد من الدراسات التراثية في مختلف الموضوعات، ومنها العمارة والفلك والتقويم والطفل والزراعة والصيدلة وعلم الوثائق والخط والأوزان والمكاييل والمرأة والحرب، وقد وضع (علم المخطوطات) سنة ١٩٧٥ وجمع ضوابطه وقواعده ومصطلحاته وألف (مصطلحات المخطوطات)و (مصطلحات المكتبة العربية) ووضع (نظرية التأهيل) سنة ١٩٨١ في تأهيل التراث العربي بأسلوب علمي منهجي وابتكر (دائرة التأهيل) للتطبيق والايضاح وابتكر (دائرة الأهلة) في سنة ١٩٧٨ (ودائرة التقويم) في سنة ١٩٧٩ و (جدول الأدوار والكبائس لستة آلاف سنة هجرية) في سنة ١٩٧٩ واردفها بابتكار (أوائل الشهور الاثني عشر في القرن الخامس عشر) في سنة ١٩٨١. له في التحقيق والبحث ونثره منهج خاص وأسلوب معروف، إذ هو يستعمل في دراساته وأبحاثه العلمية واللغوية الحساب والإحصاء ويعتمد النسب والأرقام.. وقد تتبع المصادر الشرقية للدراسات العربية واحصاها وصنفها وحللها وعرف بها، واهتم بالتراجم الباقية عن المؤلفات الضائعة ودرس اثر اللغة العربية في اللغات الشرقية وبعض اللغات الأفريقية والاوربية وبين أن نسبة الألفاظ العربية في اللغة الاردوية هي (٤١،٩٥٪). وفي اللغة التاجيكية (٤٦،٣٩٪) وفي اللغة التركية (٤٩،٧٠٪) وفي اللغة الفارسية (٦٠،٦٧٪). الف عدة معاجم منها: (معجم الآلات والأدوات) و معجم (العلامات والرموز) ومعجم (الأضداد) ومعجم (الألوان) وقاموس التراث واهتم بدراسة تاريخ البلدان ولا سيما المدن التسع المشهورة، وقد طبعت أبحاثها في سبعة مجلدات من (موسوعة العتبات المقدسة) بين سنة ١٩٦٥و ١٩٦٧.. ومن إنجازاته المهمة إضافة كبيسة واحدة في الدور الرابع والثمانين من أدوار الكبائس، وقد قرر كبس ٥٠٥هـ وهي الكبيسة المحفوظية نسبة إليه و (التقويم المقارن)، و (الدلائل الأدبية على قدمية الخط العربي) وله (الوفاق بين المذاهب الإسلامية) بين فيه أن دلائل الوفاق في وسائل الخلاف، واثبت أن نسبة الخلاف لا تزيد على (٦٪) من مسائل الخلاف لا من مجموع مسائل الفقه وكتب الرسالة الفلسفية (من اجل الإنسان) سنة ١٩٥٩.. ومن أعماله أيضا: دراسة إحصاء المسلمين وتراث المقادسة، وسجل الأيام والوقائع والحروب وتقويم حياة النبي وإحصاء أحاديث الأخلاق في السنة واستخراج المقاييس الإنسانية في التراث العربي وفضل اللغة العربية وبراءتها من النقص.. يبدأ عمله المجمعي في الخمسينيات من القرن الماضي، فقد انتخب عضوا في اللجنة الأدبية في بعض المجامع العلمية في الشرق سنة ١٩٥٢، وفي الجمعية الأسيوية الملكية في لندن سنة ١٩٥٤، ثم انتخب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٥٦ (وهو رابع عراقي يدخل المجمع) والمجمع العلمي الهندي في عليكرة سنة ١٩٧٦. شارك ومثل العراق في عشرات المؤتمرات العالمية والاستشراقية والندوات والمجالس العلمية والحلقات الدراسية والمهرجانات الأدبية في العراق والبلاد العربية منذ سنة ١٩٥٤.. وتقديرا لإبداعاته نال (وسام الثناء) في الثقافة ١٩٥٧ و (وسام إقبال الذهبي) ١٩٧٨ وفاز كتابه (المتنبي وسعدي) بجائزة (احسن كتب العام) سنة ١٩٥٨، ورشحته جامعة بغداد لعدة جوائز علمية وعالمية، وهو الأستاذ الأول في كلية اللغات ١٩٩٣، والأستاذ الأول في جامعة بغداد ١٩٩٣ وأستاذ متمرس ١٩٩٥..

> له في خدمة التراث العربي والإسلامي بتحقيقه والتعريف به واحيائه ما ينيف على (٢٠٠) اثر، وقد أنجز العديد من الدراسات التراثية في مختلف الموضوعات، ومنها العمارة والفلك والتقويم والطفل والزراعة والصيدلة وعلم الوثائق والخط والأوزان والمكاييل والمرأة والحرب، وقد وضع (علم المخطوطات) سنة ١٩٧٥ وجمع ضوابطه وقواعده ومصطلحاته وألف (مصطلحات المخطوطات) و (مصطلحات المكتبة العربية) ووضع (نظرية التأهيل) سنة ١٩٨١ في تأهيل التراث العربي بأسلوب علمي منهجي

شخصيات بغدادية طريفة

شخصيات تدعي ما ليس لها واخرى تمارس هوايات غريبة

توفيق اجناص وكالة انباء متنقلة وابراهيم عرب يقدم النكات مع اقداح الشاي

عباس بغدادي

في العشرينات ومابعدها بقليل لمعت في سماء بغداد العلمية والادبية شخصيات بقيت خالدة اذ خلفت سجلاً من النشاط والاعمال مثل الزهاوي والرصافي وخيري الهنداوي وفهمي المدرس والملا عبود الكرخي وحافظ جميل وعبد الكريم العلاف والاب انستاس الكرملي وابراهيم صالح شكر ونوري ثابت وقد وفاهم البغداديون حقهم من الاهتمام والذكر الطيب وكتب عنهم الكثير ولكن المؤلم ان هناك نجوماً لمعت وخبت ولم يرد ذكرها على لسان او على صفحة متواضعة من جريدة او نشرة الا القليل النادر واريد ان اذكر البغداديين ببعض هؤلاء عسى ان يلقى ذكرهم بعض العناية والاهتمام ومنهم على سبيل المثال المرحوم عبد الله ثنيان الاديب الذي الف معجماً بمفردات اللغة العربية وكتاباً في الادب العربي، وقيل ان مسوداتهما قد اخذهما ابن اخيه يحيى عبد اللطيف ثنيان لطبعها في مصر ولكن لا الطبع ولا المسودات وصلت الى بغداد، وابراهيم حلمي العمر الصحفي البارع الذي كان يكتب ثلاث مقالات في اليوم الواحد في ثلاث جرائد تختلف في سياستها الواحدة عن الاخرى، الامر الذي ينم عن قابلياته المدهشة، فعلى اولاده واحفاده واجب تعريف الناس به، وعبد الغفور البدري وقاسم العلوي اللذان كانا يصدران جريدة (الاستقلال) ، يوم كانت منار الوطنية في العشرينيات . وقد لاقت ولاقيا من عنت السلطة واذاها الشيء الكثير. والقصاصون امثال السيد محمود احمد ، وعبد الوهاب الامين ، وسليم داود (كان موظفا في مديرية الواردات العامة)، وعبد الرحمن الفلاحي، وعباس فضلي خماس وحسين الرحال، وسليم الخوري، وعبد الله جدوع، مترجم الاداب الغربية، واصدقاؤهم مثل، نوري روفائيل، والسيد مكي الشيخلي ، اللذين سافرا اخيرا الى اسبانيا والتحقا بجيش الجنرال (مياجا) لمدة سنتين لمحاربة جيش الجنرال فرانكو .

اما الصحافي ميخائيل تيسي ، فلا يعرف عنه الا جريدة (كناس الشوارع)،وهو الذي اقيمت عليه دعوى (التجديف) بالدين، لانه استعار ماجاء القرآن الكريم (قاب قوسين او ادنى). والصحفي داود العجيل صاحب جريدة (البدائع) المعارضة للانكليز والانتداب، والذي انتهى امره بان يكون معاونا لمأمور الاستهلاك في علوة المخضر بالكاظمية . وعوني بكر صدقي ، صاحب مؤلفات التاريخ القديم وبطل مقالات السفور والحجاب، والشعراء عبد الرحمن البنا، وابراهيم ادهم الزهاوي، ورشيد الهاشمي، الذي ادخلته الحكومة الى مستشفى المجانين ، لان اشعاره في الحكومة القائمة والانكليز لا يقولها الا مجنون كما تدعي. وامين خلف شوقي الداودي، الذي كان يكتب العمود الدائم في جريدة (حبزبوز) بعنوان (مذكرات خجة خان)، وبتوقيع (بابو جتر بنارجي)في مقالات (عراق اشلون سويك ترقي)، وكان يحسن من اللغات اربعا غير العربية. اما البائس شاعر البؤساء كمال نصرة ، فقد انتهى امره وبالواسطة ان يعين في وظيفة كاتب اضابير في بلدية الكاظمية براتب قدره ستة دنانير شهريا، ومع هذا فقد فصل من الوظيفة التافهة بحجة انه غير كفء لها، كأن من يراد لشاغل هذه العملية البسيطة ان يكون ذا ثقافة عالية وتكنولوجيا متقدمة لا يملكها الشاعر البائس كمال. وكذلك الشاعر عباس العبدلي، الذي كان ينظم الشعر المسمى (البند) تشبها ببند ابن الخلفة، وهو صاحب النقائض والمطاولات مع الملا عبود الكرخي. وكذلك الصحفي عبد الامير الناهض . مثل يحيى قاف والاديب الضرير علي غالب العزاوي شقيق المؤرخ عباس العزاوي، واحمد عزت العظمي، وكاظم الدجيلي رائد الملك غازي في طفولته، وشقيق جواد الدجيلي، الذي اتهمه الناس بالشذوذ والجنون، لان عقليته وآراءه كانت فوق مستوى العامة . ثم محمود الملاح والخطباء، مثل الحاج نعمان الاعظمي، والسيد مصطفى الشيخلي، والروزخون الشهير السيد محمد صالح الحلي، والملا سلمان الكرخي .

(وكان من اليهود شعراء وادباء ، مثل انور شاؤول، ومير بصري، الذي بقي في لندن يراسل اصدقاءه، في بغداد في ذلك الوقت ونسيهم الناس، ولو كان سليمان الدخيل، يوسف رجيب، وعبد الكريم محمود الشيخ علي اول من ترجم ملحمة كلكامش العراقية شعرا . ومن الطرافة ان عبد الكريم تخرج في جامعة لندن في موضوع (الكنسروة) ومارس تعليب الاثمار مدة ثلاث سنوات في معامل انكلترا ، ثم استدعي الى بغداد بعد كل هذه الدراسة والخبرة ، وصدر امر تعيينه معلما في مدرسة باب السيف الابتدائية بالكرخ، نكاية باخيه على محمود الشيخ علي . وكذلك فلو كان الصحفي سليم حسون، والشاعر بسيم الذويب، واحمد قاسم راجي ، يعرفون ان مصيرهم النسيان لكانوا اختاروا طريقا غير طريق الادب والشعر والصحافة ، ولكن لكل انسان قدر واحد. وهذا هو قدرهم.

وكانت في بغداد شخصيات تتردد اسماؤهم على السنة البغداديين لاسباب مختلفة ولكنهم لا يشبهون من ذكرناه في اعلاه، ولكن الواجب علينا ان نسجل ما كان موجوداً في بغداد في تلك الحقبة غثاً او سميناً فليس للمؤرخ ان يلتقط من المجتمع ما يلذ له ومن هذه الشخصيات التي ليس رابطة بينها وكل واحد من طراز يختلف ومنهم:

اولاً: توفيق اجنص:

وهو من اشهر الشخصيات البغدادية في جانب الرصافة واجنص معناها الاخبار فهو مغرم بنقل الاخبار من محل الى اخر ومن شخص الى اخر لدرجة ان جميع الموجودين بين باب المعظم والسيد سلطان علي واصحاب الدكاكين والمصالح يعرفون الخبر نفسه، وتوفيق من سكان محلة الطوب في باب المعظم وفي اخر ايامه صار وكيلاً لقبض الرواتب التقاعدية للعجائز والمسنين، الذي لايقدرون على مراجعة دائرة التقاعد التي كانت عبارة عن غرفة واحدة في شعبة المحاسبات في وزارة المالية ويديرها السيد محمد حسين النواب والد الدكتور ضياء النواب حيث كان عدد المتقاعدين قليلاً جداً وبهذه الوكالات استطاع توفيق ان يلتقط من الاخبار التي كان يحصل عليها من البيوت ما لا يستطيع احد التقاطه لذلك اطلق عليه احد الصحفيين لقب توفيق ابو هافا (هافا هي وكالة الانباء الفرنسية) وكان توفيق بسيطاً حسن السلوك يقضي حوائج الناس بقدر مايستطيع وكان رجاؤه ووساطاته لدى المسؤولين الكبار في الحكومة لاترد.

ثانياً: جاسم ابو الهبزي وعرب احمد بنية:وهؤلاء الثلاثة يشتركون في شيء واحد هو ادعاؤهم بما ليس فيهم، فجاسم ابو الهبزي يدعي بالمراجل والشقاوة وكلما تحصل جريمة قتل يتردد على المقاهي ومراكز الشرطة ويسأل ان كان قد ذكر اسمه في قائمة المشبوهين وكان يصادق المشهورين من الاشقياء مثل ابراهيم الاسود والحجي شاكر الخياط وقد نال من التوقيف والضرب ما لم ينل مثله احد ويساق الى المحاكم ولكنه يخرج بريئاً لعدم وجود اي دليل ضده ولكنه لم يرتدع ويعود الى ادعاءاته الى ان تم توقيفه في حادث مقتل احمد الشنان في باب الشيخ من قبل الحجي شاكر وعزيز الاقجم حيث اوقف لمدة سبعة اشهر وتلقى من العذاب ما جعله يتوب توبة صادقة وبعدها عكف في بيته وقضى نحبه.

ثالثاً احمد بنية :

ولا ادري ان كان يقرب الى عائلته البنية المعروفة لكن اسمه كان احمد بنية كان يلبس انذاك العرقجين وحده ويرمي اليشماغ باهمال على كتفه الايمن ويمشي مسرعاً في شارع الرشيد متلفتاً ذات اليمين وذات الشمال يسلم على الناس او الناس تسلم عليه ويسمع عبارات (استريح ابو شهاب) وجوابه الدائم (لا والله عندي شغل مهم) ولكن الحقيقة ان لا شغل لديه، وكان يوجد بالقرب من أماكن وقوع الجرائم داعياً من الله ان يتهم ولكنه لم يتهم وقد يبالغ في بعض الاحيان ويقول واليشماغ في يده دلالة على الارتباك (والله ماكو شي بس شوي جرينا اذنه) اي اشبعناه ضرباً ورفساً والناس يعرفون ان لاصحة لكلامه ومع ذلك فقد كان محبوباً عند الناس يتمتعون بأحاديثه عن البطولات والمراجل لكنه لم يشتهر عنه انه اذى او اعتدى عليه.

رابعاً عرب:صاحب مقهى باب المعظم فقد كان من طراز آخر فهو نفاج نفاخ لايدعي البطولات والشقاوة لكنه يدعى بالحلول السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يقدمها لكبار القوم فيقول مثلاً انه كان مدعواً للعشاء عند الملك فيصل الاول وقدم له النصائح في كيفية حكم العراق او ان المندوب السامي البريطاني المستر هنري دوبس قد زاره في منتصف الليلة الماضية وشرب عنده الشاي او ان المس بل قد عشقته وراودته عن نفسها ولكنه رفض ذلك بكل اباء احتراماً للحجي ناجي وكانت هذه الاحاديث اللطيفة الفكهة تجعل مقهاه منتدى لكثير من الادباء والظرفاء في بغداد يتمتعون بالخيال الساحر لصاحب المقهى وسخريته من الاحداث كما كان يعرف وباصرار شديد كل مرتادي قهوته فان لم يكن يعرفه فانه يقدم له الشاي او الحامض مجاناً ويبدأ حديثه معه (بلا صغر بيك منو جنابك) ذلك ان قهوتي هي للاصدقاء والمحبين وستكون انت احدهم وبحديثه المعسول جلب الناس اليه وكثر المريدون اما ابنه فقد فتح مقهى في كمب الاعظمية وسماها قهوة عرب باسم ابيه المرحوم ولكن شتان مابين الاب والابن.

خامساً شيخان العربنجي:

هو اشهر عربنجي في بغداد حتى الخمسينيات يوم انقرضت العرباين (الربل) تقريباً من شارع الرشيد ومات شيخان معدماً فقيراً بـ(الزيق) الذي يخرجه من فمه وقد واجهت شيخان في الثلاثينيات واعترف لي بانه من مواليد قرية (سركلو) في السليمانية وكان ميسور الحال ومن عائلة طيبة وله عائلة محترمة ولكن الزمن جفاه بماله وعياله وجاء الى بغداد في اوائل العشرينات ولما كان من مريدي الطريقة الطالبانية فقد التجأ اول مجيئه الى تكية الطالبانية في الميدان بجوار جامع المرادية وكان بين الجامع والتكية اصطبل للعرباين وصار يجتمع الى العربنجية واشتغل معهم باجرة كانت تكفيه للعيش في ذلك الزمن وتعلم المصلحة بصورة جيدة وصار (عربنجياً) واصبح شاطراً جدا في اخراج (الزيق) من فمه كما اشتهر بذلك كل من جعفر العسكري رئيس الوزراء حين ذاك ولفتة العبد ربيب السيد كامل الخضري ولما كان شيخان قد عرف الشاعر الكردي الكبير الطالباني واشتهر بشعر الهجاء باللغات العربية والتركية والكردية وتعلم منه ان الحياة لا تساوي شيئاً وان الدنيا فانية وان عقوبة نكد الزمان هو الاستهتار بالزمان واخذ الناس يتحرشون به ويتحرش بهم وقال لي ان الناس يحاولون السخرية مني ولكني انا الذي اسخر منهم ومن دنياهم وها ان ابنتي متزوجة من احد الرجال المعروفين في بغداد (ضابط معروف في الجيش) ولكني ارفض ان القاه وارفض اي (منه) من احد ولا اقبل اكرامية زائدة عن الحد عند نقل الناس في العربة من محل الى اخر، وهكذا فقد القى علي محاضرة في الحياة والناس ولما سألته حين بدأنا في الافتراق ما هو موقفه مني : اجابني (بزيق) طويل من زياقته المشهورة رحمه الله ومات فقيراً معدماً ودفن في مقبرة باب المعظم باعتباره غريباً من الغرباء.

سادساً عباس حلاوي:

وعباس هذا كثير الصنائع قليل الرزق اهم اعمال اعلاناته في باب سنترال سينما قرب تكية البدوي عن الفيلم الذي يعرض وعن المسلسلات الكوميدية وغير الكوميدية وهو صاحب القول المشهور (الليلة عدنا تبديل) اربع مناظر ستة ادي بولو اثنين طرزان اثنين جاكي كوكان وهي المسلسلات التي كانت تعرض في ذلك الزمان يساعده في الصياح في باب السينما حسقيل ابو البالطوات (البالطو: هو المعطف الشتوي) والذي يشتغل بعد ذلك في الليل بالفصول الهزلية التي كان يقدمها جعفر اغا لقلق زاده في ملاهي بغداد في محلة الميدان واذا لم يكن لعباس رزق في احد الايام فانه يركب العربة مع جوقة مع الاولاد الصغار وقد صبغ وجهه بالاحمر والاخضر للاعلان عن اي شيء او بضاعة مكلف بالاعلان عنها مصحوباً بالرقص والتصفيق وكان يتخلق البستات والاغاني ووراء الصبيان مخترقين شارع الرشيد من الميدان حتى شارع باب الشيخ وقد استخدمه بعضهم للسخرية من احد الناس المعروفين بغرض التشهير وقد نجح في المرة الاولى اذ شهر باحد التجار ولكنه لم يعد اليها في المرة الثانية وقد شهر باحد الزورخانية فنال جزءاه ونقل الى المستشفى لمداواة جروحه ولم يعد اليها ثانية، بل لم ير وجهه في بغداد مرة اخرى، حيث احتفى والى الابد.

سابعاً دعبول البلام:

اشهر بلاكم في بغداد خصوصاً ايام الصيف جين ينزل الناس بالزوارق الى شاطىء الكاورية ترفيها عن النفس واكل السمك المسكوف وهو قارىء جيد للمقام العراقي وفكه ظريف وقد كفانا الاستاذ يوسف العاني مشقة الكتابة عنه تفصيلاً فقد جاء ذلك في تمثيليته المشهورة (دعبول).

ثامناً شفتالو :وهو قزم ايراني اقرع يتظاهر بالبله ويشتغل في مقهى حسن عجمي، يسقي الماء ويقوم ببقية اعمال القهوة وكان يعرف جميع روادها معرفة تامة فهو يتساءل دائماً بطريقة خبيثة عن اسمائهم وحسبهم ونسبهم ونقائهم وفضائلهم وكان له صديق حميم واخر عدو مبين اما صديقه فهو القزم العروف (خليلو) المشوه الخلق العارف جيداً بالمقامات العراقية والاغاني العراقية وغير العراقية. والمعتاش على الصدقات والاكراميات من عارفيه والفنانين والفنانات وقد ظهر على شاشة التلفزيون العراقي في يوم من الايام مقلداً مختلف الاغاني كشخصية بغدادية غريبة متصلة بالفن، برغم مظهره الخارجي، أ.ا عدو شفتالو اللدود فهو المرحوم حسن حراسة وكان يخافه خوفاً شديداً ويرتجف لمجرد ذكر اسمه وحين يقترب حسن من المقهى بطريق المصادفة فاما ان يهرب شفالتو الى دربونة بيت الشابندر القريبة من المقهى واما ان يختبىء من (الاوجاغ) بحماية حسن عجمي والسبب في ذلك ان المرحوم حسن حراسة قد اشتهر بالمراجل والشقاوة وقد الصقت به قتل سياسية مثل مقتل الكوميسير اليهودي سلمان افندي ومقتل وزير الداخلية و توفيق الخالدي برغم كونه ملتزم للحراسة ولكن التحقيق الطويل الذي اجري معه لم يثبت انه قام بعمل من هذه الاعمال.

تاسعاً الحاج خليل ابراهيم القهوجي الكروي القيسي:وكان في صباه قهوجياً في قنبر علي مع ابيه واول ما بدأ عمله مستقلاً كان في المدرسة الثانوية المركزية في النصف الثاني من العشرينات ثم انتقل الى دار المعلماني في الثلاثينات وبق هناك حتى استأجر المقهى من الاوقاف في محلة الخشالات على شارع الرشيد لقد كان خليل القهوجي مثلاً للكرم وحسن السلوك واللطف في المعاملة واستمرت صداقته الوثيقة مع جميع الذين عرفوه من طلاب الثانوية ودار المعلمين حتى بعد تخرجهم واشغالهم الوظائف في الدولة المهمة منها وغير الهمة وخصوصاً ضباط الجيش وبقيت علاقاته الوثيقة معهم قائمة حتى تقاعدهم من الخدمة وصارت قهوته مركزاً للاستعلامات ومحطة للبريد والحوالات والامانات مابين بغداد والمحافظات فقد كانت اكثر عناوين الرسائل وعناوين الحوالات المالية ترد وتصدر بواسطة قهوة خليل. وقد اعتاد رواد القهوة كما اعتاد هو ان يترك التخت مع صينية الواردات مباحة للعموم حتى ان اخاه سلمان وهو من ام يهودية تزوجها ابوه في قنبر علي كان سلمان هذا يترك الصينية تحت رحمة كل من يجلس على التخت وجاء في يوم من الايام احد المزاحمين في المزاد الذي اقيم في مديرية الاوقاف العامة لاستئجار المقهى وزاد على الحجي في الايجار فاستنكر خليل ذلك واستاجر مقهى اخر بجوار المقهى الاول ولكنه لم يستأنس في هذه المقهى وركبته الحسرة والكآبة وترك العمل نهائيا وتوفي الى رحمة الله.

إرزوقي الأعور .. الطبيب العدلي للمشرحة بلا شهادة

طارق صبري

عمل أكثر من نصف قرن في مشرحة الطب العدلي في باب المعظم حتى وفاته (رحمه الله) قبل خمس سنوات. كنا نشاهده فيلا كل صباح في أحد مطاعم منطقة الفضل وغالباً في محال الباجة واخيراً كان قد اعتاد على تناول الفطور كما أعتدنا عند احمد القيسي (الباجه جي) المشهور ومنذ أن كانت لديه عربة لبيع (الباجة). كان يأتي صباحاً عندما يكمل عمله في الطب العدلي وفي حدود الساعة السادسة صباحاً في كل يوم. وكنا نأكل على العربه وكنا نجامله ونقول له: كم جثة اليوم توليت تشريحها ؟ ! فيقول ثلاثة او اربعة . ونرد علية بالقول إذا كنت تتولى تشريح (الجثث فمن سيتولى تشريح جثتك) ؟فكان يجيبنا ؟ إطمئنوا سوف لن يكون موتي مشتبه به بحيث يتولى الطب العدلي تشريحي وسوف؟ أموت ميتة طبيعية ولن يرسلني القاضي الى الطب العدلي لتشريح جثتي . وكنا نسأله كيف تقوم بهذه المهمة ؟ فيقول لدي سكينة كبيرة وبضربة واحدة بسيطة على القفص الصدري للميت ينفتح الصدر . حيث اتولى اخراج القلب والرئتين واعلقهما لكي يأتي الطبيب ليملأ الاستمارة بتحديد سبب الوفاة . ولقد كان إرزوقي خبيراً في تحديد سبب الوفاة اذ بمجرد اخراج تلك الاجزاء يستطيع تحديد سبب الوفاة سواء أكان ذلك بالغرق او الخنق او القتل بالرصاص او الآلات الحادة . كما انه كان يتولى تحديد الحالات الجزائية الاخرى التي يتم طلب رأي الطب العدلي فيها وذلك بسبب الموهبة والسجية التي يمتلكها والخبرة التي حصل عليها بسبب طول خدمته ونادراً ما يختلف تحديده لسبب الوفاة مع ما يتوصل اليه الطبيب العدلي . وقد اعتاد على ان يقوم بعمله في وقت مبكر وبعد انجاز عمله يأتي مع صديق له وهو سائق سيارة خصوصي من نوع سوبر ١٩٨٢ لتناول الفطور قبل الساعة السادسة ولقد كان ميالا الى عدم الحديث عن عمله ولما كنا نسندرجة للكلام كان يقول رأيت طيلة هذه المدة ما رأيت وعرفت ما عرفت عن حالات الوفاة ويحرص على عدم الكلام بشأن الاسماء او اسباب الوفاة . اذ كان يرد علينا ان هذه من اسرار المتوفى وحرام علي ذكرها ؟! الا في حالات استثنائية قليلة جداً بحوادث مهمة كان يذكر شيئاً يسيراً عن الموضوع. وعندما كنا نستفزه بقولنا انك طبيب لاطباء في الطب العدلي كان يبتسم قليلاً . وحيث انه كان يرغب ويقبل حديثي لكوني ابدأه بالمدح والاطراء والذكر والثناء . كان يرد علي فيقول ! استاذ طارق أنت محام واذا كان لديك شيء للسؤال عن سبب وفاة لقضية تتوكل فيها فإنني سأتولى اجابتك بدلاً من مراجعتك الطب العدلي ورؤيتك للجثث. ونزلت به نازلة في بداية التسعينيات حكم عليه بالسجن ولم تمضى فترة قليلة من سجنه حتى صدر عفو خاص له بعد ان احتج العاملون في الطب العدلي وقاموا بمراجعة الجهات المختصة حول الحاجة اليه فتم اصدار عفو خاص له. والدعوى التي حكم عليه بموجبها لا يمكن تصديقها بدون تعجب ! وتتلخص بأن احد اصدقائه كان له ابن يعمل شرطياً في احد المعارض وقد تولى سرقة المصرف ولاجل التمويه على قضية السرقة فأنه استعان به لمساعدته في ايجاد جثة في الطب العدلي ويتم نقلها الى المصرف وترمى هناك على اساس إن اللصوص قتلوا الشرطي وسرقوا المصرف ويتم الباسها ملابس شرطي فقد اقتنعت الجهات العدلية بمسألة سرقة اللصوص وقتل الشرطي وتولى والد الشرطي اجراء مراسيم الفاتحة لإبنة (الحي المتوفي) ولكن ذلك لم يدم طويلاً حيث تمت مشاهدة هذا الشرطي في احد فنادق الموصل وتم القبض عليه فكان ذلك سببا للحكم على ارزوقي ليس باعتباره سارقاً او شريكاً بالسرقة ولكن بأعتباره قد ارتكب جريمة تضليل العدالة والاعتداء على جثة ميت . وبعد اطلاق سراحه حوالنا مراراً وتكراراً الوقوف على تفاصيل هذه القضية وحقيقتها لكنة كان يرفض الحديث عنها . رحم الله (إرزوقي) فكان كريماً في عينه وكريماً في عمله حتى انه دخل السجن بسبب كرمه هذا وغفر الله له فالخطأ صفة ملازمة للطبيعة البشرية وحالة لا يمكن تجاوزها احيانا وحيث انه ذهب فلم نعد نسأل عن خليفته في عمله . وان كنا نترحم علية كلما مررنا بشارع الشيخ عمر ومحلة الفضل.